الفكر السياسي وحدود العلاقة بين السياسي الإيطيقي: قراءة في المتن السياسي عند ميكيافلي

محمد بن علي
المركز الجامعي أحمد زبانة غليزان،falsafa20@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2017/06/23؛ تاريخ القبول: 2018/06/01

Abstract:

The renaissance ageisconsidered as one of the most important historicalperiodthatpaved the way to the modern politicalideology in all itsforms andapplications. In the sameepoch, the western world witnessed radical reformsthatenclosed all domains. In politics, the European states saw the emergence of bloody politicalstruggles to an extentthatanchored in the mind of the people thatmonarchyis a merescene of violent an adventurousevents .The arising of absolutemonarchy on behalf of the power of the churchcaused the failure of all political institutions. Politics, thus, turned to confirm the claim that the monarchdetains all powers. The Church rule over Europe during the Middle Ages was put to an end as Europe went over different divisions. In this period, Italy was divided into five provinces: Napoli, Milano, Venice and Florence in addition to the Papal state .Such a fact stressed the need for a strong government as all theses plitting up encouraged political and moral deviances.

In that critical period lived Machiavelli who was recognized his pursuit for the Italian unification. He attained to enhance the Italians' deep feelings of belongingness and national unity. He was a fervent of the Roman republic tha the put in high esteem for he considered it as the model of perfect rule and governance. Machiavelli was the true figure of the prodigal son of the renaissance era as here flects faith fully that age.

Keywords: Middle Ages; renaissance age; Human nature state; Politics

الملخص:

يعتبر عصر النهضة من أهم المراحل التاريخية التي مهدت للفكر السياسي الحديث بجميع نواحيه وتطبيقاته، حيث عرف العالم الغربي في هذه المرحلة تحولات عميقة شملت جميع النواحي، ففي الحياة السياسية" كان المسرح السياسي في ممالك أوربا مملوءا بالصراعات العنيفة والمأساوية، حتى أن الشعب لم يستطع أن يمتنع عن اعتبار الملكية كسلسلة من الأحداث الدموية أو المغامرتية، إذ يمكن القول أنّه مع ظهور الملكية المطلقة على حساب قوة الكنيسة بدأ الانهيار التام للمؤسسات السياسية عامة، بل أصبحت السياسة تستند إلى مقولة أن الملك هو منبع جميع السلطات.

لم تعد الجمهورية المسيحية التي سادت العصر الوسيط في حيز الوجود، بعد أن انقسمت إلى عدة دول، ففي هذه الفترة كانت إيطاليا مقسمة إلى خمسة أقاليم كبيرة هي: مملكة نابولي- ميلانو –جمهورية البندقية –جمهورية فلورنسيا- بالإضافة إلى الدولة البابوية في الوسط، مما يعني أن إيطاليا كانت تفتقر إلى حكومة مركزية قوية، الأمر الذي ساهم في انتشار الفوضى والفساد الأخلاقي والسياسي. في هذا الجو عاش ميكيافلي، الذي تميز بحبه الشديد للوحدة الإيطالية، لهذا راح ينمي الشعور بالانتماء والروح الوطنية - علما أنه كان في كل ذلك معجبا بالجمهورية الرومانية، التي اعتبرها مثله الأعلى وذروة ما حققه الإنسان من صور الحكم - هكذا يعتبر ميكيافلي الابن البار لعصر

النهضة فهو يعكس بكل بوضوح وأمانة صورة هذا العصر الذي استمد منه ومن تقلباته أفكاره وشخصيته

الكلمات المفتاحية: العصور الوسطى؛ عصر النهضة؛ الطبيعة البشرية؛ الدولة؛ السياسة.

مدخل: الظروف السياسية والتاريخية وبدايات عصر النهضة

يعتبر عصر النهضة من أهم المراحل التاريخية التي مهدت للفكر السياسي الحديث بجميع نواحيه وتطبيقاته، حيث عرف العالم الغربي في هذه المرحلة تحولات عميقة شملت جميع النواحي، ففي الحياة السياسية" كان المسرح السياسي في ممالك أوربا مملوءا بالصراعات العنيفة والمأساوية، حتى أن الشعب لم يستطع أن يمتنع عن اعتبار الملكية كسلسلة من الأحداث الدموية أو المغامرتية، إذ يمكن القول أنّه مع ظهور الملكية المطلقة على حساب قوة الكنيسة بدأ الانهيار التام للمؤسسات السياسية القروسطية عامة، بل أصبحت السياسة تستند إلى مقولة أن الملك هو منبع جميع السلطات .

لم تعد الجمهورية المسيحية التي سادت العصر الوسيط في حيز الوجود، بعد أن انقسمت إلى عدة دول، ففي هذه الفترة كانت إيطاليا مقسمة إلى خمسة أقاليم كبيرة هي: مملكة نابولي- دوقية ميلانو – جمهورية البندقية –جمهورية فلورنسيا-بالإضافة إلى الدولة البابوية في الوسط، مما يعني أن إيطاليا كانت تفتقر إلى حكومة مركزية قوية، الأمر الذي ساهم في انتشار الفوضى والفساد الأخلاقي والسياسي. في هذا

الجو عاش ميكيافلي، الذي تميز بحبه الشديد للوحدة الإيطالية، لهذا راح ينمي الشعور بالانتماء والروح الوطنية - علما أنه كان في كل ذلك معجبا بالجمهورية الرومانية، التي اعتبرها مثله الأعلى وذروة ما حققه الإنسان من صور الحكم - هكذا يعتبر ميكيافلي الابن البار لعصر النهضة فهو يعكس بكل بوضوح وأمانة صورة هذا العصر الذي استمد منه ومن تقلباته أفكاره وشخصيته.

إن الظروف التي عاشها ميكيافلي علمته الكثير من الدروس التي صنعت تفكيره ونظرته إلى السياسة والدين والأخلاق، بل وحتى للطبيعة الإنسانية، هذه الدروس هي ما سنحاول الكشف عنها من خلال هذه المقالة التي جاءت هيكلتها على النحو التالي:

1) نظرته للطبيعة البشرية:

إذا كانت السياسة هي فن حكم البشر- أو تربية أهوائهم وأنانيتهم بالنظر إلى غايات النظام العام- نظام يخرج عن نطاق الحياة الفردية الضيقة، وكان الإنسان هو العنصر الجوهري لتجسيد مختلف السياسات فكيف ينظر ميكيافلي للطبيعة البشرية ؟

ينطلق ميكيافلي من مسلمة أساسية، وهي أن الطبيعة البشرية ثابتة لا تتغير على مر الأزمان وفي مختلف الأماكن، وهي طبيعة شريرة ماكرة "إذ نستطيع أن نقول بصفة عامة، أنهم ناكرون للجميل، متقلبون، مراءون، ميّالون إلى تجنب الأخطار، شديدو الطمع، وهم إلى جانبك، طالما أنك تفيدهم، يبذلون لك دمائهم وحياتهم، وأطفالهم وكل ما

يملكون، طالما أن الحاجة بعيدة المنال نائية، ولكنها عندما تدنو يثورون، ومصير الأمير الذي يركن إلى وعودهم دون اتخاذ أي استعدادات أخرى، إلى الدمار والخراب، إذ أن الصداقة التي تقوم على أساس الثراء- لا على أساس نبل الروح وعظمتها_ صداقة زائفة تشترى بالمال، ولا تكون أمينة موثوقة، ولا يتردد الناس في الإساءة إلى ذلك الذي يجعل نفسه محبوبا، بقدر ترددهم في الإساءة لمن يخافونه، إذ أن الحب يرتبط بسلسة من الالتزامات، التي قد تتحطم، بالنظر إلى أنانية الناس، عندما يخدم تحطيمها مصالحهم (ميكيافلي:1991، 144).

تلك هي إذن الميول الوحشية الشريرة التي يتصف بها الإنسان، والتي تبقى ترافقه طيلة حياته، فهي ترجع إلى الرواسب الشهوانية والحيوانية الموروثة، التي لا يمكن التخلص منه، والتي تبقى دائما تدفعه إلى الشر والعنف، وهي بالتالي تفسر جميع الحوادث المؤسفة، والمأسوية التي تقع فيها المجتمعات كالنزاعات والحروب، بهذا يكون ميكيافلي قد أظهر طبيعة النفس البشرية، على حقيقتها، الأمر الذي جعله يحذر الحكام من شرورها ويحثهم على تطويق دوافعها بشتى الوسائل المتاحة، بما فيها القسوة والحزم والتنكيل، ولهذا يرى أنه من الضروري لم يعد جمهورية...أن يفترض أن جميع البشر خبثاء، وهم دائما على أهبة الاستعداد، لاستخدام خبثهم حين تواتيهم الفرصة لذلك، فالبشر لا يفعلون الخير أبدا إلا بالضرورة، وهم ومهما كانت صفاتهم تبقى طبيعتهم مزاجية ومتقلبة حسب الظروف، ومن هنا فلا خير فيهم ولا ثقة لهم .

إن ميكيافلي- وكما قلنا - ينظر إلى الطبيعة البشرية نظرة ثابتة فهي تجري على نفس النمط في الماضي والحاضر والمستقبل. «فإذا كان من المقدّر أن نقارن بين الحاضر والماضي البعيد، فإنه في وسعنا أن نرى بسهولة أن ثمة رغبات متشابهة، وعواطف واحدة تكون موجودة دائما في جميع الأوقات(إسماعيل زروخي: 2000، 176)، وباختصار لا ينتظر من البشر إلا السوء إذا لم يجبروا على عمل الخير، هكذا يكون النظام السياسي عند ميكيافلي مبني على هذا الافتراض الذي يقضي بأن الطبيعة البشرية أنانية في جوهرها، قائمة على النزعة العدوانية وحب التملك، فالناس يستهدفون الاحتفاظ بما لديهم والاستزادة منه، فليس ثمة حد للرغبات، الأمر الذي ينجر عنه الظلم والعدوانوالفوضى السافرة، التي لا تكبح جماحها إلا القوة الكامنة وراء القانون، لكن ميكيافلي يرى أن الإنسان حتى وإن كان بطبعه الأصيل شرير، فإنه بحكم وضعه الاجتماعي قابل بل مضطر لأن يكون على قدر من الفضيلة والخير، ولهذا يجب على الدولة، أن تستعمل الإنسان كما هو بخيره وشره استخداما يخدم المصلحة العامة للبلاد.

تلك هي النقطة الرئيسية-حسب ميكيافلي – التي يجب أن تراعى في تأسيس الدول» حقيقة تؤكد على أن الإنسان قاصر النظر، لا يحكم إلا من خلال المنافع العاجلة، مهملا النتائج الآجلة، لكن هذه الحقيقة سوف تجعل الإنسان، ورغبة منه في المحافظة على بقائه... سهل الانقياد للقادة المدنيين...بفضل القيادة الماكرة والتنظيم الاجتماعي المحكم، ومادامت الغاية العليا من السياسة في نظر ميكيافلي هي المصلحة العامة والأمن وليست الغايات الأخلاقية، فالحكم على السياسة ينبغي أن

يأخذ بعين الاعتبار النتائج الاجتماعية والسياسية، بغض النظر عن القيم الأخلاقية، لأنّ تحقيق الخير المشترك في نظر ميكيافلي يغفر استخدام الوسائل اللاأخلاقية .

يعتقد ميكيافلي بأن اعتماد القادة والمسؤولين العنف، والشدة والقصوى مع الناس، لا يصلح نفوسهم الشريرة فحسب، بل يدفعهم إلى العمل المتميز الذي ينمي المجتمع ويطوره في كافة المجالات، فإذا لم يكن الأمير شديد مع الأفراد، فإنهم يتكاسلون، ويتهربون من أداء العمل المطلوب منهم .

2) فكرة الدولة عند ميكيافلي:

لم ينطلق ميكيافلي من نظام فلسفي في بسط فكرته عن الدولة، فلم يبحث في أصلها ولا في كيفية نشأتها، فالدولة موجودة، ومن الضروري المحافظة عليها وتقويتها، وإصلاحها عند الحاجة، وهذه الغاية تتجاوز كل خير وشر، من هذا المنطلق بحث في عناصر استمراريتها وعناصر ضعفها وانحطاطها، معتمدا في بحثه هذا على التاريخ المقارن، باستعراض الأسس التي تبنى عليها الدولة والدساتير التي تنهض عليها المماليك، وتتطور وتبلغ أشدها إلى أن يعتريها الضعف والوهن فتموت وتزول، ولهذا استخدم أسلوب الاستقراء التجريبي، عارضا النتائج التي يقدمها له التاريخ القديم والتي تمكنه من استلهام العبر، من العصور الحديثة، وهذا كله على ضوء تجربته في الحكم واضطلاعه بأمور السياسة.

لذلك ينظر ميكيافلي إلى المجتمعات البشرية نظرة واقعية، فهذه الأخيرة تتبع في نظره خطا سويا في تطورها، فالناس يعيشون في أول الأمر متفرقين في عزلة تامة يسيطر قويّهم على ضعيفهم، ويجرده من ممتلكاته،

وحقوقه وربما يقتله، وعندما يضعف القوي يتعرض بدوره للعدوان، من طرف من هو أقوى منه، وهكذا دواليك، بمعنى أن الجنس البشري مرّ بالحالة الحيوانية الغير المهذبة، التي ساد فيها قانون الغاب، قانون يساوي بين الحق والقوة، فالحق لا يمكن ضمانه إلا بالقوة التي تحمي الحق وتمكن صاحبة من التمتع به.

هكذا يرجع ميكيافلي سيادة شريعة قانون الغاب إلى الطبيعة العدوانية المتأصلة في الإنسان، وغريزة حب الظهور، والسيطرة على الآخرين، لكن بتزايد أفراد الجنس البشري تعاظمت التفاعلات بينهم، واختفت حالة العزلة الاجتماعية، لهذا قرروا إنهاء شريعة الغاب من خلال اختيار حاكم قوي من بينهم يطيعون أوامره، وعليه" فاجتماع جماعة من الناس يكون بمحض رغبتها أو تنفيذا لاقتراح يصدر عن إنسان ذي سلطة كبرى في صفوفها، بالعيش في مكان واحد تختاره، وتجد فيه الراحة في العيش والسهولة في الدفاع عن نفسها(إسماعيل زروخي: 2000، 182).

من هنا يظهر أن فكرة الدولة عند ميكيافلي ناشئة إما بالضرورة عن الحياة المشتركة التي تفرض التعاون لتحقيق متطلبات الحياة، كون الإنسان عاجز عن تأمين كل متطلباته بمفرده، وإما ناشئة بأمر من سلطة قهرية لإنسان ذو سطوة ونفوذ على البقية، فإذا حدث الاجتماع تطل إذ ذاك مشكلة القيادة، فيختارون من بينهم من يتولى زعامتهم وتوجيههم، بعد هذه النشأة تظهر المطالب الرامية إلى سن القوانين وتنظيم أمور الحياة، في سبيل العمل على خدمة المصلحة العليا للبلاد

إن أول ما كان يمثل قوة الدولة عند ميكيافلي، هو نوع الجيش الذي تعتمد عليه، فإذا كان هذا الأخير مشكّل من أبنائها الأصليين نمّ ذلك الشعور بالوطنية، لأن واجب المرء نحو وطنه يعلو على كل الواجبات، لهذا يعزو الوضعية التي آلت إليها إيطاليا في عصر إلى اعتمادها على جيوش المرتزقة قائلا:" فالدمار الذي لحق بإيطاليا والذي نشهده الآن، نجم عن شيء واحد، هو اعتمادها لسنوات طويلة على جيوش المرتزقة، ولا ريب أن هذه الجيوش قد ساعدت بعض الأفراد في الوصول إلى الحكم(ميكيافلي:1991، 118)، وهذا نظرا لأن هؤلاء المجندين لا يخضعون إلا للجانب المادي، ولا يعرفون مواثيق ولا عهود.

هنا يُظْهر ميكيافلي ارتباطا وثيقا بدولته، فكل هدف ينشده هو بناؤها بصرف النظر عن الوسائل المستخدمة، فالدفاع عن الوطن أمر جيد دائما مهما كانت الوسائل المستخدمة، وهذا دون اعتبار للعدل أو الظلم، فتأمين الخلاص والحرية للوطن هو النقطة الأساسية التي يجب أن تتغلب على كل النقاط الأخرى.

إن الأهمية التي يوليها ميكيافلي للدولة جعلته يشدد على استخدام العنف والاستبداد كوسيلة للحفاظ على سلامتها واستقرارها، ولعلى ما دفعه للتأكيد على أهمية الدولة هو الظروف التي عايشتها إيطاليا آنذاك، حيث كانت مقسمة إلى دويلات متناحرة فيما بينها، فمن أجل هذا كله، سوف يرفض كل القيم أو كل هيمنة للدين والأخلاق على الحياة الاجتماعية، إذا كانت هذه الأخيرة لا تخدم مصلحة الدولة، وانطلاقا من هذا تصبح السياسة فن عقلاني في مبادئه ، يستقبل في حساباته كل

المعطيات التي هي في متناول التجربة، وهي فن ايجابي يزدري كل نقاش حول القيم والمثل.

3) سيكولوجيا الحاكم:

إن كل شيء قاله ميكيافلي عن النظام السياسي، نابع من الافتراض بأن الطبيعة البشرية أنانية في جوهرها، وهو الدافع الرئيسي الذي يجب أن يعتمد عليه أي رجل دولة، بل وأي حاكم حكيم يجب أن يقيم سياسته على أساس هذا الافتراض، لاشك أن الإخلاص وحفظ العهود صفة ممدوحة في أي حاكم أو أمير، ولكن التجارب السياسية تؤكد على أن هناك بعض الحكام المحتالين وصلوا إلى مركز قوة عن طريق نكث العهود والخيانة.

من هذا المنطلق يؤكد ميكيافلي على أن هناك طريقين للوصول إلى الحكم: القوة والقانون، فالقانون هو أساس التنافس بين الناس، والقوة هي أساس التنافس بين الحيوانات، لكن وبما أن طريق القانون غير ناجع دائما، فإنه من واجب الأمير إتقان الطريق الثاني، فمن الضروري للأمير معرفة الطريقين معا، أي طريق الإنسان والحيوان، وهو في التجائه لوسيلة الحيوانات عليه أن يقلد الثعلب والأسد معا، أي يلجأ إلى المكر والدهاء من جهة، وإلى القوة والبطش من جهة ثانية، ولابد له من الجمع بين وسيلتي الأسد والثعلب، لأن الأسد ورغم قوته لا يسلم من الوقوع في الشراك، والثعلب لا يتمكن من الدفاع عن نفسه أمام الذئاب، لهذا من الضروري بالنسبة للأمير أن يعمل كحيوان وكإنسان،

لأن الطريقة الإنسانية وحدها لا تكفي، لهذا فالإنسان مضطر لاستخدام طريقة الحيوان.

ففي مضمار الوعود والالتزامات، يرى ميكيافلي أنه على الأمير أن يكون ثعلبا، وألاّ يحافظ على العهود حين تكون تؤدي إلى الإضرار بمصالحه، أو تكون الأسباب التي جعلته يتعهد قد اختفت، ونجد ميكيافلي في طرحه هذا يستند دائما إلى الطبيعة البشرية "فلو كان البشر جيدين جميعا لما كان هذا المبدأ جيد، ولكن بما أنهم سيؤون وبما أنهم لن يحافظوا على كلامهم نحوك، فأنت أيضا ليس عليك أن تحافظ على كلامك نحوهم"(ج.ج شوفاليه:1980، 30). وهذا التلاعب من الأمير ليس بالصعوبة بما كان، لأنه بإمكانه أن يجد من يصدّقه، فمن طبيعة الناس أن يكونوا من البساطة والسهولة بحيث يطيعون الاحتياجات الراهنة، ولهذا من يتقن الخداع يجد دائما من تنطلي عليه الخديعة.

إن الدولة الناجحة والقوية التي ينشدها ميكيافلي، هي التي يكون فيها الحاكم يتقلب حسب الظروف، ووفق مقتضيات العمل السياسي، فكل ما هو مطلوب منه بعض اللباقة يخدع بها الآخرين ويغشهم دون أن يشعروا، أوى ليس هذا معناه استبعاد كل الفضائل التي يؤمن بها ويقدسها الأفراد العاديين والفلاسفة ورجال الدين؟ فهو يرى أنه من الخير أن يكون الإنسان رحيما مخلصا وإنسانا مستقيما، لكن على شرط أن ينقلب عكس ذلك في الأوقات التي تستلزم ذلك.

لذلك يؤثر ميكيافلي البخل على الكرم عند الأمير أو الحاكم، فعلى" الأمير أن لا يكترث كثيرا باشتهاره بالبخل، هذا إذا رغب في

تجنب سرقة شعبه، وفي أن يكون قادرا على الدفاع عن نفسه، وتجنب الفقر وما يرافقه من مهانة، وأن لا يجبر نفسه مرغما على سلب الناس أموالهم، فالشح هو إحدى الرذائل التي تمكنه من أن يحكم(ميكيافلي:1991، 140).، بالإضافة إلى أنه يجب عليه أن يظهر بمظهر الحليم المتدين، فكل أمير يعتبره رعاياه رحيما لا قاسيا فظيعا، على شرط أن لا يسيء استعمال هذه الرحمة، وبالرجوع إلى الصفات الحميدة المذكورة، فليس على الأمير امتلاكها فعليا بل يكفي أن يتمظهر بها أمام الناس من أجل صورة الدولة، ﴿فالكثير من تجارب عصرنا- يقول ميكيافلي- أثبتت أن الأمراء الذين قاموا بجلاء الأعمال، لم يكونوا كثيري الاهتمام بوعودهم الأخلاقية والوفاء بها، بل تمكنوا بالمكر والخداع والدهاء من الضحك على عقول الناس وإرباكهم، وتغلبوا أخيرا على أقرانهم من الذين اتخذوا الوفاء رائدهم"(ميكيافلي:1991، 140).

هكذا يصبح النفاق بالنسبة للأمير واجبا، وتبدو سياسته وكأنها معيار دقيق بحسب الظروف، فإذا نجح الأمير في حفظ دولته فكل الوسائل التي يستعملها يحكم عليها بأنها شريفة، علما أن هذه السياسة هي عينها التي يجب أن تحكم علاقته بالأجنبي، فالوعد والمعاهدة لا قيمة لهما إلا بمقدار بقائهما متوافقين مع مصالح الأمير، الذي يجب عليه ألا يضيع أية فرصة تسمح له بالتوسع على حساب الغير. من هنا يتولد السؤال الكلاسيكي، ما هو أفضل للأمير أن يكون موضع حب أم موضع خشية ؟

سؤال يجيب عنه ميكيافلي وهو محكوم بالرغبة في القضاء على ما لحق بلده إيطاليا من فساد، بإباحة كل الوسائل المتاحة، من العنف المادي

إلى الحيلة والمكر، لأن العبرة بالنتيجة النهائية. وهذا ما عبر عنه بقوله:" من الخير أن تعفيه النتيجة عندما يتهمه الفعل ، وعندما تكون النتيجة طيبة، كما في حالة رومليوس(قتل أخاه) سوف تحله دائما من اللوم، ذلك أن الذي يجب زجره، هو الذي يرتكب العنف بغرض التدمير، وليس الذي يستخدمه لأغراض خيّرة (ج.سابين:1971، 483).

هذه الفلسفة هي المناسبة لإيطاليا، لتوحيدها تحت راية واحدة وحاكم واحد مستبد، يمكن أن يحقق الأخلاق الفاضلة للشعب على شاكلة قيصر بروجياBOURGIA، الذي رأى فيه ميكيافلي نموذج الأمير المخلّص، الذي سيحقق الحكم الإيطالي ويبني جمهورية على النمط الروماني القديم، في هذه النقطة يبدو ميكيافلي أنه أول المفكرين والكتّاب، الذي بلور ما أصبح يعرف بالنزعة الوطنية، في الوقت الذي كانت لا تزال فيه مبهمة، ولكنها في الوقت ذاته تحمل الكثير من عناصر القوة والإصرار، حيث شكلت ما أصبح يسمى فيما بعد "مبدأ النّزعات الوطنية"، أي الحق في انجاز الوحدة والاستقلال في سياق الدولة الواحدة.

4) شكل الدولة وطرق الوصول إلى الحكم:

تجدر الإشارة هنا إلى أن الماهية المميزة للخطاب الميكيافلي، تتركز في سعيه لتنجب الخطاب السياسي اليوناني من جهة، وفي تجنبه لخطاب السياسة الوسطوي من جهة ثانية، ففكره يبدو مرتبط أساسا بميدان التنظير للوقائع، وسبل القوة والمجد، فبعيدا عن تأثير النظريات المرتبطة

بشرعية السلطة، يرى ميكيافليأن:"جميع الحكومات والممالك التي حكمت الجنس البشري في الماضي، أو التي تتولى الحكم الآن، لا تخرج عن أن تكون في أحد الشكلين: إما الشكل الجمهوري أو الشكل الملكي، والملكيات إما أن تكون وراثية.. أو حديثة النشوء (ميكيافلي: 1991، 54).

لم يعالج ميكيافلي نمط الحكم الجمهوري، لأن الجمهورية حسب رأيه هي في مرتبة أرفع بحيث يمارس فيها الناس الحرية بشكل أقوى، وهي أمر بعيد المنال آنذاك، لهذا يلجأ ميكيافلي إلى معالجة النوع الثاني من أنواع الحكم، وهو الإمارة، بغرض الكشف عن جوهرها وكيف يتم الوصول إليها؟ والمحافظة عليها ولماذا تضيع؟ هذا هو إذن الهدف من وراء البحث.

إن الإمارة كما قلنا تعارض الجمهورية وهي على نوعان: إما وراثية فيها حكّام من أسرة واحدة قامت منذ سنين عديدة، الأمر الذي يسهّل من مهمة الأمير في تسييرها والمحافظة عليها، حيث يكفيه ألا يتجاوز الحدود التي رسمها أسلافه، لتحقيق الاستقرار والبقاء على العرش، هذا عكس الإمارة التي قامت حديثا أو الجديدة تماما...أو كأجزاء جديدة تضاف إلى ممتلكات الأمير الموروثة، وتلحق بها.

أما كيفية الحصول على هذه الإمارات، فهو أمر يعود إلى القوة حسب ميكيافلي، فانتصار الأقوى هو الواقع الجوهري للتاريخ البشري،" فرغبة الحصول هي ولا ريب شيء طبيعي، ومن يسلّم لها

حين تكون له وسائلها يمدح أكثر مما يدان، ولكن من يصمم على ذلك دون القدرة على التنفيذ، إنما يعرض نفسه للوم ويرتكب غلطة،" إذن امتلاك القوة هو الوسيلة الرئيسية عند ميكيافلي للحصول على الإمارات والمحافظة عليها.

من هذا المنطلق يمجّد ميكيافلي السياسة الاستعمارية ومنطق الحرب، "فالحرب هي المهمة الحقيقية لكل حاكم، وبها ليس فقط الذين ولدوا أمراء يستطيعون البقاء، لكن أيضا الذين ولدوا أشخاصا عاديين كثيرا ما يستطيعون أن يصيروا أمراء...فاحتقار فن الحرب أول خطوة نحو الهلاك، وامتلاكه وسيلة للارتقاء إلى السلطة(ميكيافلي:1991، 131).

هنا يمكن الإشارة إلى مفارقة عجيبة عند ميكيافلي، وهي تفضيله للدبلوماسية مهما كانت أساليبها الدنيئة – على الحرب من جهة – وولعه الشديد بالحياة العسكرية والتشوق للمجد الروماني من جهة ثانية، فالقوانين الجيدة لا توجد إلا حيث توجد أسلحة جيدة، من هذا المنظور هناك أربع أساليب للوصول إلى الحكم حسب ميكيافلي، يمكن أن ترافقها طرق مختلفة للمحافظة عليه، وهذه الأساليب هي :

أ-أن يصل الحاكم إلى السلطة بقوته وقدرته.

" فما دامت الشعوب بطبيعتها غير ثابتة، ولئن كان من السهل إقناعها بشيء ما، فمن الصعب تثبيتها في هذا الاقتناع: وبالتالي ينبغي

أن تكون للأمير مرتبة، بحيث أنه حين تكف الشعوب عن الإيمان يكون ممكنا جعلها تؤمن بالقوة "croire par force"(ج.ج شوفاليه:1980، 21)

ب-الوصول إلى الحكم عن طريق الحظ Fortuna.

" فكل ما ينبغي للأمير الذي وصل إلى السلطة عن طريق ملائمة الحظ وبأسلحة الغير، هو أن يستخدم هذا الحظ جيدا ليبقى، مثلما فعل " قيصر بورجيا"، فهو حسب ميكيافلي لم يهمل أي شيء مما كان على رجل حذر وماهر ذو شجاعة كبيرة، وصاحب فضيلة(vertu) في أعلى مستوى، أهلته ليتجذر بعمق في الدول التي أعطته إياها أسلحة الغير والحظ.

ج-الوصول إلى الحكم عن طريق المكر

يبخس ميكيافلي الوصول إلى الحكم عن طريق المكر والوغدنة، لأن هذه الطريق لا تتطلب الكثير من الفضيلة vertu، ولا تدخلات الحظ – هنا يعطي ميكيافلي مثالين عنAgothak الصقلي في العصور القديمة (ملك سراقوزة ق4 ق م)، الذي وصل إلى الحكم رغم أصله الوضيع (ابن فحّام)-وoliverotto في زمن الإسكندر السادس، الذي أصبح أمير مدينة ferme بذبحه لخاله وأبرز مواطني مدينته"عندما دعاهم لوليمة".

من هذين المثالين يستخلص ميكيافلي فكرة الاستعمال الجيد والسيئ للأعمال الوحشية، من أجل المحافظة على دولة اغتصبت، فالأعمال الوحشية الجيدة هي التي تطبق دفعة واحدة في بداية الملك،

لتأمين أمن الأمير، أما الأعمال الوحشية السيئة فهي التي تتكاثر مع الزمن بدلا من أن تنتهي. هكذا تصبح مسألة الخير والشر مسألة محصورة في الميدان السياسي، تقاس بمعيار فن النجاح السياسي، العاري من كل اعتبار أخلاقي.

د-الوصول إلى الحكم عن طريق مساعدة المواطنين.

نأتي الآن إلى الصنف الرابع وهو الحالة "التي يرتقي فيها المواطن إلى الإمارة لا عن طريق الجريمة أو العنف الذي لا يحتمل، بل عن طريق تأييد رفاقه المواطنين"(ميكيافلي:1991، 103)، فللوصول إلى هذا المنصب لا يعتمد الإنسان كلية على الكفاءة أو الحظ، بل قد يصل إليه عن طريق تأييد الجماهير ودعم النبلاء، ففي كل مدينة يتنازع فريقان، رغبة الجماهير في تجنب طغيان العظماء، ورغبة العظماء في التحكم والطغيان على الجماهير، في هذا الصراع إما تنشأ حكومة من الشعب أو من النبلاء، فعندما يشعر النبلاء بعجزهم عن مقاومة الشعب، فإنهم يتحدون في تمجيد أحدهم، ورفعه إلى مرتبة الإمارة، ليستطيعوا تحت ظله فرض إرادتهم، وتحقيق خططهم، وعندما يعجز الشعب من جهة أخرى عن مقاومة النبلاء، يحاول أن يخلق أميرا ليشعر بالحماية في ظل سلطانه، هكذا ففي هذا النمط الأخير، من أنماط الحصول على الإمارة لسنا أمام أي نوع من الإبداع، فالأمر لا يتطلب إلا فن عادي وتقنية سهلة.

5) فن السياسة:

هناك فكرة رائجة بقوة وهي أن سياسة ميكيافلي، تتموقع خارج حدود كل مفهوم أخلاقي وتتلخص في مفهوم التقنية، وبالتالي تنبذ كلية الإفصاح عن القيم المحترمة من قبل الإنسانية، وعن القيم التي يجب على الإنسان اختيارها. لقد تمكن ميكيافلي مرحلة بمرحلة، من أن يصبح المنّظر الأول لكيفية تأسيس المملكات والمحافظة على الجمهوريات، وأصبح الدور الأول للمسألة الأساسية – أي السلطة – والأصل المنبثقة عنه، ونوعية ممارستها، ومتطلبات الحفاظ عليها، فبتحررها من القيود الأخلاقية ترتقي السلطة إلى المقام الأول، وتصبح هدفا يقصد لذاته، ويمثل صدارة كل الطموحات الإنسانية. وهي النهاية والمطلب الحقيقي لكل سياسة، فالسياسة بهذا المنظور فرصة للإنسان العبقري والسياسي الكبير، للتعبير عن مميزاته(vertu)، كاشفا عن أقصى مهارته التي تقوم على استباق أسباب خراب الدول قصد محاربتها، واقتلاع جذورها، قبل أن تستفحل، وتنجم عنها أمراض مستعصية تدمر الإمبراطوريات، فرجل السياسة يكون إذا فنان لا أخلاقي.
(1996 .p 94:dictionnaire d’éthique et de philosophie morale)

هدفه إنجاز عمل فني بلا قيم، أو لنقل أن قيمته الوحيدة... تقوم على المهارة الواجب اللجوء إليها للمحافظة على هذا العمل الفني، الذي لن تكون الغاية منه جعل الإنسان أكثر إنسانية، بل موضوع السياسة يكمن في منع الأفراد من الهلاك، ويدعوهم للتموقع في حدود النظام المفروض عليهم.

إن الفن السياسي الميكيافلي، يستوجب الحيطة والحذر، على اعتبار أنه تقنية لخدمة رغبات السلطة، وليس كتأسيس لنظرية أخلاقية تعلم الإنسان بأن وسائل الحرية والإنسانية هي دائما من جوهر سياسي.إن السياسة من المنظور الميكيافلي تقول أنه: إذا كانت الأخلاق تهتم بالغايات النهائية للإنسان، فإنه يوجد خير واحد، أو غاية واحدة يبحث عنها الجميع، وهي الوحدة والوئام السياسي والمدني، فهي منبع الحرية لجميع أفراد الدولة، وهي كذلك الشرط لكل المنافع الأخرى التي يبحث عنها الإنسان، مثل الأمن ولذة التمتع بالممتلكات، وفوق كل هذا المتعة التي لا توصف، عندما يصبح الإنسان لا يخاف على شرف زوجته وأطفاله، وحتى على ذاته، وعلى العكس من ذلك كل ما يفرق الناس ويجعلهم يعيشون في رعب وشك، يحكم عليه ميكيافلي بأنه سيء مثل الرغبات الشخصية، التكبر، البحث عن المصلحة الشخصية، والثروة،التي تسمح بشراء ذمم القضاة وتحريف القوانين.

إن ميكيافلي وفي غمرة انشغاله المتواصل بتحديد ما هو جيد وما هو سيء، يظهر فكرته الحقيقية عن العلاقة بين الأخلاق والسياسة، فكرة تجعل للثانية الريادة على الأولى، فهو عندما يتناول مسألة علاقة الأخلاق بالسياسة، يبقى دائما محكوم بنظرية الطبيعة البشرية، فطبيعة الإنسان لا تنتج الوئام، إنها تجعل كل فرد يخاف من ميولات الآخر، وبهذا تمنع كل وئام، وكل مساواة وكل حرية، ولهذا لا يمكن أن يكون للأفراد من قيم سوى السياسة، وهنا تظهر أولوية السياسة عن

الأخلاق، بعبارة أخرى إذا لم يكن للقيم أن تكون إلا بالسياسة، فإنها لا يمكن أن تتجلى إلا في قالب سياسي.

من هنا تصبح القطيعة مع مفهوم الأخلاق المستقلة عن النشاط الإنساني تمثل جوهر الميكيافلية، التي عبرت عن التبرير الفني للسياسة، ورسمت حدود الحقل السياسي بعيدا عن الاعتبارات الأخلاقية والدينية النظرية. على أن ميكيافلي سوف لا يعدّ وحده المسؤول بعد ذلك عن الاتجاه اللاأخلاقي للدولة، وإنما مكّن هذا الاتجاه- إن في السياسة أو في الحرب- فلاسفة الألمان وعلى رأسهم هيجل، من تبرير أعمال رجال التاريخ باعتبارهم أبطال ولأعمالهم ما يبررها أخلاقيا.

6) الدين في خدمة الدولة:

لم يكن ميكيافلي مبال بما للأخلاق والدين من تأثير في نفسية الجماهير وعلى الحياة الاجتماعية والسياسية، فمن السهل أن نكشف أنه كان لا يهتم بالدين إلا من زاوية الدولة وصيانتها وعظمتها قبل كل شيء، من هذا المنظور فالدين خادم للدولة وسياستها، وأداة تأديبية عجيبة لا يمكن للشعب أن يستغني عنها، لأنه حيثما تكون العبادات الإلهية محتقرة يكون الفساد الأخلاقي، وهلاك الدولة وشيك. وهذا ما يجعل ميكيافلي ينصح "كل الحكام سواء كانوا استبداديين أو دستوريين أن يحافظوا على أسس الدين القومي، حتى وإن كانوا لا يؤمنون به.

إن القيم الدينية بهذا الشكل ما هي إلا إضافات للقوة، التي يجب أن يستخدمها الحاكم ، بمعنى أن للدين وظيفة نفعية في سبيل

تدعيم القوة السياسية، فهو الستار الذي يتخفى وراءه الحاكم، الذي يستخدم كافة الأساليب حتى الأكثر بعدا عن هذه القيم، وفق مبدأ "الغاية تبرر الوسيلة"، فإذا لم يكن من سبيل للحفاظ على الدولة إلاّ بارتكاب تلك المثالب، فعليه ألاّ يكترث بذلك، إذ أن التعمق في درس الأمور يقول ميكيافلي:" يؤدي إلى العثور على أن بعض الأشياء التي تبدو فضائل، تؤدي إذا ما اتبعت إلى دمار الإنسان، بينما هناك أشياء أخرى تبدو كرذائل، ولكنها تؤدي إلى زيادة ما يشعر به الإنسان من طمأنينة وسعادة"(ميكيافلي:1991، 137)

ما تجدر الإشارة إليه هو أن ميكيافلي لم يكن ضد الدين عامة، لأنه كان يؤمن برسالة المسيحية الأصلية، بل نجده يعزو التدهور الذي بلغته الدويلات الإيطالية آنذاك، إلى البعد عن التعاليم المسيحية السمحة، قائلا:" فلو احتفظ حكام الدول المسيحية بالروح الدينية، التي رسمها لنا مؤسس المسيحية لكانت النصرانية وجمهورياتها في وضع أكثر اتحادا، أو أكثر سعادة مما هي عليه الآن". من هنا يمكن القول أن ميكيافلي كان ضد الكنيسة، على اعتبار أنها السبب الأول فيما وصلت إليه إيطاليا آنذاك، ولهذا يؤكد قائلا:" نحن الإيطاليون مدينون إذن لكنيسة روما ولقساوستها، بأننا أصبحنا غير متدينين وأشرار، ولكننا ندين لها بدين أكبر، وسوف يكون سبب خرابنا، ألا وهو أن الكنيسة أبقت ولا تزال تبقى على انقسام بلدنا...إذن الكنيسة التي لا تملك القوة الكافية للسيطرة على إيطاليا، ولا تسمح لأية قوة أخرى بأن تفعل

ذلك، كانت السبب في أن إيطاليا لم تتمكن من الاتحاد في ظل رئيس واحد"(ج. سابين:1971، 472) .

لقد كان ميكيافلي مغرما بالقوة وبنموذج روما القديم، التي كان يرى فيها ثمار التربية التي تحث على القوة، وتمجد الحرية، وحب العمل الدنيوي وتجعل قوام السعادة في عظمة النفس وقوة الجسد، عكس ما كانت تدعو إليه المسيحية." إن ديننا – يقول ميكيافلي- يضع السعادة القصوى في الخنوع والمسكنة، واحتقار المآرب الدنيوية، بينما الآخر- نموذج العصور القديمة – يجعل الخير الأسمى في عظمة الروح وقوة الجسد، وكلها صفات من هذا القبيل، تجعل الناس مهابين...ويبدو لي أن هذه المبادئ جعلت الناس عاجزين وأوقعتهم فريسة لذوي العقول الشريرة، الذين يستطيعون التحكم فيهم بصورة أدعى إلى الاطمئنان، إذ يرون انه في سبيل الظفر بالجنّة يكون الناس أميل إلى تحمل الإساءات منهم إلى الثأر لها(توفيق مجاهد،ح: 1986، 325). هذا التسليم يرفضه ميكيافلي، ويرفض على أساسه تعاليم الكنيسة التي تضع للرجل مثله العليا في الخير والتواضع وإنكار الذات، واحتقار الأشياء الدنيوية، حتى وإن كانت هذه التعاليم تطلب من الرجل أن يكون قويا، فإن القوة التي تطلبها فيه، هي ما يمكنه من احتمال الآلام، لا على القيام بالأمور التي تتطلب الجرأة.

من الطبيعي أن يتخذ ميكيافلي مثل هذا الموقف، فهو من جهة نتاج عصر النهضة الذي تولد عن ظلام العصور الوسطى، وما مارسته خلالها الكنيسة من إرهاب فكري وتسلط سياسي تحت ستار الدين،

ومن جهة أخرى فهو لم يكن يؤمن بأية غاية ميتافيزيقية للإنسان، فكل الغايات لابد أن تكون في هذا العالم الذي نعيشه، وعليه فالقيم التي يستهدف الناس تحقيقها يجب أن لا تكون قيما ميتافيزيقية، بل يجب أن تتلخص في العظمة والقوة والشهرة، وعليه مادامت أغراض الناس تتلخص في العظمة والقوة والشهرة، فإن كل ما يؤدي إلى هذه الأغراض يعد فضيلة، فالفضيلة، مجموعة من الصفات التي إذا توفرت في شخص ما استطاع تحقيق أغراضه.

ومن هنا كانت فضيلة ميكيافلي تختلف عن تلك المعروفة عند أفلاطون والرواقيين أو المفكرين المسيحيين، الذين آمنوا بوجود قانونا طبيعيا خالدا، يميز بين الخير والشر، ونحن لكي نكون فضلاء يجب أن نتبع ما يأمر به هذا القانون من فضائل، ونبتعد عما نهى عنه من رذائل، لهذا فإذا كان الأخلاقيون رسموا طريق الوصول إلى الفضائل التي توجه سير الناس، فإن ميكيافلي يرسم طريق الفضائل التي تحقق المجد والشهرة والعظمة.

لهذا يمكن القول أن ميكيافلي أعطى الفضيلة بعدا سياسيا، يجمع تحت مسمى واحد كل الخصائص التي تضمن الفوز بالمعركة، وبعبارة أخرى الفضيلة هي جملة القدرات التي تضمن السير الحسن للمؤسسات السياسية، دون إطلاقية لأن الحكم عليها يتوقف على النتائج، فالفضائل ليست دائما إيجابية وناجحة، "فلا ريب في أن كل إنسان يدرك أن من الصفات المحمودة للأمير، أن يكون صادقا في وعوده...لكن تجارب عصرنا – يقول ميكيافلي-أثبتت أن الأمراء الذين

قاموا بجلائل الأعمال لم يكونوا كثيري الاهتمام بعهودهم والوفاء بها، وتمكنوا بالمكر والدهاء من الضحك على عقول الناس...وتغلبوا على أقرانهم من الذين جعلوا الإخلاص والوفاء رائدهم"(ميكيافلي:1991، 147)، ومعنى هذا الإقرار باستخدام الحكام للوسائل اللاأخلاقية لتحقيق غاية الدولة، في هذا المجال تكاد التدابير العسكرية والسياسية تكون الأشياء الوحيدة التي يوليها ميكيافلي بالغ الاهتمام، ويفضلها عن كل الاعتبارات الدينية والأخلاقية والاجتماعية، إلا إذا كانت هذه الأخيرة تخدم غاية السياسة، "فالحاكم باعتباره خالق الدولة، ليس خارج القانون فحسب، ولكنه خارج الأخلاق أيضا"، وعليه إذا أراد المحافظة على نفسه أن يتعلم الابتعاد عن الطيبة والخير، وألاّ يستخدمها إلا وفقا لضرورات الحالات التي يواجهها .

لا يتحدث ميكيافلي عن الأخلاق إلا بوصفها عونا-لا باعتبارها في ذاتها- فأخلاق المواطن في دولته لا تقاس إلا بمقدار ما يخدم وطنه ومجتمعه، ومن هنا يكون للسياسة السبق على كل قيمة أخلاقية، بل فساد السياسة في حد ذاتها يرجع إلى تدخل الأخلاق. لهذا يقول دانِنغ"DANNING": لقد فصل ميكيافلي علم السياسة عن علم الأخلاق...فلم يؤمن بأن السياسة تتشكل من مذهب أخلاقي، ولا تصب في ذاتها في دائرة القيم الأخلاقية...بل رأى على العكس من ذلك أن الأخلاق تشكل طبقا للسياسة» (محمد علي، م.عبد المعطي، م:1976، 127)، ليس هناك وسط عند ميكيافلي، فالدولة إما تقوم على أخلاقية دينية، وإما تتجه نحو الحكم على السلوك الإنساني، بما في

ذلك السلوك السياسي وفق مبادئ السلوك الإنساني ذاته. وهو هنا يفضل الطريق الثاني، على اعتبار أن الدولة التي تقوم على الأخلاق سرعان ما تنهار، "فنحن في دائرة السياسة...وشؤون الحكم لا نعرف إلا مبدأ واحد ووحيد نحكم به على الفعل، وهذا المبدأ هو النتائج التي يحققها الفعل، فإذا كانت النتائج مفيدة كان الفعل صائبا، وإذا كانت غير مفيدة كان الفعل خاطئا.

خاتمة:

إن هذه الآراء و لا شك تصدم المشاعر من فرط واقعيتها ومجافاتها للأخلاق، إلاّ أنه يمكن القول أن ميكيافلي لم يفعل أي شيء أكثر من أنه استخلصها من الواقع الإيطالي آنذاك، واقع مملوء بالحيل والخداع والقساوة والفظاعة، لكن الشيء المؤكد هو أنه "مع ميكيافلي أصبحنا حقيقة في عالم آخر تماما، لقد ماتت العصور الوسطى، ويبدو أنها لم توجد مطلقا، فكل قضاياها: كالله، والخلاص، والعلاقات بين العالم الماورائي والعالم الدنيوي، والعدالة والأساس الإلهي للسلطة غير موجودة بالنسبة لميكيافلي، وليس هناك إلا حقيقة واحدة هي حقيقة الدولة، وواقع واحد هو السلطة، وهناك قضية واحدة: هي كيف يمكن تثبيت وحفظ سلطة الدولة؟ دولة الأرض والإنسان.

ولهذا يعتبر ميكيافلي- حسب قول "EMILE NAMER"" مؤسس العلم السياسي، وذلك لأنه ولأول مرة نجد عند ميكيافلي

تحديدا لموضوع السياسي، إنه الدولة فهذه الأخيرة في نظرة حقيقية عينية حية ومتميزة، خاضعة لتحولات مضبوطة...ومن جهة أخرى فهو يرفض كل نظرية ناشئة عن خيال بعيد أو تأمل مجرد، أي كل دولة لا تعتمد على تجربة مشاهدة"(عبد اللطيف،ك:1987، 58).

إن لا أخلاقية ميكيافلي هذه هي ببساطة أمر منطقي، لأن الدين والأخلاق بالنسبة له لا تشكل إلا عوامل مساعدة لفن قيادة الدولة، ولهذا فمادامت الغاية هي الدولة" فأنا مع وطني دائما على الحق كان أم على الباطل". وهذا تعبير صادق عن النظرة الميكيافلية للأخلاق، ذلك لأن الدولة يجب أن تظل فوق كل الالتزامات الفردية، فإذا كانت السياسة فنا قائما بذاته، فإنه يجب أن تهدف إلى الخير الأقصى، الأعلى من كل خير أخلاقي، لأنّ الأخلاق المعروفة، هي في الأساس فضائل وضعت لسلوك الأفراد، أما الخير السياسي فهو ضمان سعادة الدولة، ولهذا فرجل الدولة كثيرا ما يجد نفسه مضطرا للسير فوق جثث المبادئ الأخلاقية حتى يحافظ على الدولة، وهذا ما عبر عنه تشرشل (1874-1965) في عبارة جامعة قائلا" لقد ارتكبت من الجرائم لصالح بريطانيا، ما لو ارتكبته بداخلها لقضيت حياتي كلها في السجن

مراجع البحث:

1 – ميكيافلي نيكولا (1991)، الأمير، تعريب خيري حماد، المملكة المغربية، دار الأفاق الجديدة، ط 19.

2 –زروخي إسماعيل (2000)، دراسات في الفلسفة السياسية، القاهرة، دار الفجر للنشر والتوزيع، ط1.

3- شوفاليه جون جاك(1980)، المؤلفات السياسية الكبرى من ميكيافلي إلى أيامنا، ترجمة إلياس مرقص، بيروت، دار الحقيقة للطباعة والنشر، ط1.

4- سباين جورج(1971)، تطور الفكر السياسي،ج3 ، ترجمة راشد البراوي، مصر، دار المعارف، (ب ط).

5-dictionnaire d'éthique et de philosophie morale (1996). p.u.f . 1ier édition .

6- توفيق مجاهد حورية (1986)، الفكر السياسي من أفلاطون إلى محمد عبده، مكتبة لأنجلو مصرية (ب.ط).

7-محمد علي محمد وعلي عبد المعطي محمد(1976)، السياسة بين النظرية والتطبيق، دارالجامعات المصرية،(ب.ط).

8- عبد اللطيف كمال، (1987) "الأمير خطاب الحظ والقوة"، دراسات مغربية، الدار البيضاء، المغرب.